مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

نفسية المترجم بين تعدد اللغات واضطراب تعدد الهوية
دراسة تحليلية في علم الترجمة من منظور علم اللغة النفسي وعلم اللغة العصبي

The translator's psyche between the multilingualism and the multiple personality disorder
An analytic study from the psycholinguistics and neurolinguistics perspectives

د. عبد الجليل قادري
akadri@escf-constantine.dz
المدرسة العليا في المحاسبة والمالية- قسنطينة

تاريخ الإرسال: 2021/12/09 تاريخ القبول: 2022/03/01

الملخـــص:

تقوم هذه الدراسة على محاولة فهم عملية صناعة الترجمة في مخ المترجم من منظور علم اللغة العصبي وعلم اللغة النفسي، بدل الخوض في نقد النظريات المختلفة للترجمة أو التشكيك في أمانة المترجم أو مقابلة النصوص وعرض ترجماتها المختلفة كما تفعل جل البحوث الترجمية. فقد حاولنا من خلال هذا المقال إنصاف المترجم من خلال تسليط الضوء على كل تلك العمليات العصبية التي يقوم بها المخ البشري من أجل اكتساب اللغة الأجنبية وتطويعها أثناء الترجمة وكذا أثرها عل نفس وعقل المترجم. فتبين لنا من خلال التعريج على علم اللغة العصبي أن الأجزاء المهمة في المخ التي تقوم بعملية الفهم والتحليل وإعادة الصياغة، تتمركز أساسا في الجهة اليسرى من الدماغ في منطقتي

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

'بروكا' و 'فرنكي'. وأما علم اللغة النفسي، فساعدنا في فهم سلوك المترجم وهو يتداول اللغة وبخاصة عندما ينتقل من لغة أم إلى لغة أجنبية، تختلفان تماما من حيث المقومات الثقافية والحضارية والاجتماعية والدينية وغيرها من مقومات الأمم. وبعدها تناولنا مدخلا لعلم طب الأمراض النفسية والعقلية والذي وضح لنا كيف يؤثر تعدد اكتساب اللغات الأجنبية على مخ المترجم واحتمال إصابته باضطراب تعدد الهويات، نتيجة ذلك الصراع القائم في عقل المترجم حول تناقضات الهويات الأجنبية المختلفة وهويته الأصل. وعليه، يكفي المترجم نبلا أن تعد معايبه، فالترجمة هي تتابع لعمليات عصبية ونفسية معقدة تجعل من المترجم شخصا متعدد اللغات، متعدد الثقافات وفي بعض الأحيان متعدد الهويات!

الكلمات المفتاحية: اضطراب تعدد الهويات التفارقيي– الترجمة– تعدد اللغات– علم اللغة العصبي– علم اللغة النفسي– اللغة الثانية.

Abstract:

This study aims to understand how the translation process is produced in the translator brain from a psycholinguistics and neurolinguistics perspectives, rather than debating the efficiency of the different translation theories and the betrayal of the translator, as the majority of the translation studies do. Thus, we tried -through this paper- to do justice to the translator by evocating the different complex neurological operations that occur in the human brain while learning the foreign languages and manipulating them during the translation process. Therefore, the neurolinguistics shows us the most outstanding parts of the brain which are in charge of the understanding, analyzing and rewriting processes. These parts are mainly located in the left hemisphere of the human brain:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

exactly at Broca and Wernicke's area. However, the psycholinguistics tries to discern the translator behavior during the transition from the mother tongue to a foreign one: which means traveling through different cultures, civilizations, religions, etc. Then, we have passed by the psychiatry studies to illustrate how could the multilingualism affect the translator brain and cause the Multiple Personality Disorder due to the brainstorm caused by the conflicts among the different identities of the different foreign languages. Finally, we must be satisfied with any effort made by the translator, since the translation is a succession of multifarious and complex neurological and psychological operations which stimulate the translator to be multilingual, multicultural and sometimes a person with multiple personality disorder.

Keywords: multilingualism- multiple personality disorder- neurolinguistics-psycholinguistics- second language- translation.

1. المقدمـــة:

يتضمن هذا المقال دراسة تحليلية في الترجمة من منظور علم اللغة النفسي وعلم اللغة العصبي، حيث نريد أن نبحث عن مدى تأثير تعدد اللغات على مخ المترجم أثناء عملية الترجمة. وقد استعملنا كلمة 'مخ' بدل كلمة 'ذهن' أو كلمة 'عقل' نظرا لكوننا نقصد بذلك الاسم العلمي للجزء العصبي في رأس الإنسان المسؤول عن تعلم اللغات (اللغة الأم أو اللغات الأجنبية على حد سواء) وكذا الانتقال من لغة إلى لغة أخرى أثناء عملية الترجمة. وهكذا ستكون هذه الدراسة فرصة لربط علم الترجمة بعلم اللغة العصبي (Neurolinguistics) وكذا علم النفس اللغوي (Psycholinguistics).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

إن علم الترجمة علم قديم جدا، تعددت الأقاصيص التي تروي بداياته فمنها ما هو مدعاة للخرافة كأسطورة 'حصن بابل' التي تحدث عنها 'بول ريكور' في كتابه قائلا: "**إذ قالوا هلم نبني لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء، ونضع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه الأرض. فنزل الرب لينظر المدينة والصرح اللذين كان بنو آدم يبنون فيها...وقال: هلم نزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض.**"[1]

ومن تلك الأقاصيص ما هو حقيقي كقصة رمسيس الثاني الذي أبرم أول معاهدة سلام في تاريخ البشرية مع الحيثيين عام 1258 قبل الميلاد وهي مدونة باللغتين الهيروغليفية واللغة الحيثية وهي موجودة إلى يومنا هذا بمقر الأمم المتحدة. وقد ازدهر هذا العلم عبر الزمن واكتسب نشاطا واضحا في كل الميادين نظرا لحاجة الإنسان الماسة للتواصل مع الغير وكذا نقل العلوم والآداب بين الحضارات والأمم. غير أن جل الدراسات الترجمية كانت ولازالت تنصب عن دراسة النظريات المختلفة للترجمة وكذا الطرائق الخاصة لتعليم الترجمة أو أنها تعالج نصوصا مترجمة وتنتقد طريقة نقلها من لغة إلى لغة أخرى.

وفي حين يتنافس المنظرون والناقدون في إثبات خيانة الترجمة وعيوب النص المترجم، وكذا إجحاف وتقاعص المترجم أثناء العملية الترجمية، ينسى الكثير من الناس (عامة الناس أو حتى الأخصائيين في مجالات مختلفة) أن هذا المترجم هو مجرد بشر يملك دماغ أو مخ يقوم بالعمليات العصبية نفسها لأي إنسان عادي. ضف إلى ذلك أن هذا المترجم المطالب بنقل نص قانوني من لغة أصل إلى لغة هدف هو ليس برجل قانون، كما

[1]– بول ريكور. عن الترجمة. ترجمة حسين حمزي. الدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت 2008.ص ص41-42

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

أنه ليس طبيبا ولا مهندسا ولا محللا اقتصاديا ولا رجل دين. فكيف يمكن أن نحاسبه على أن المصطلح القانوني لا يوافق بالضبط المصطلح المترجم، أو أن التعبير الاقتصادي لم ينقل ببراعة أو أن الفكرة الدينية لم تلق رواجا في عقيدة البيئة المستقبلة للنص المترجم.

إن المترجم الذي لابد عليه أن يتقن على الأقل لغة أجنبية واحدة أو أكثر بالإضافة إلى لغته الأم (كي تتم عملية الترجمة من لغة أصل إلى لغة هدف)، يجد نفسه أمام ضرورة الاطلاع على ثقافة وحضارة وطرائق عيش تلك الشعوب التي يتعلم لغتها، لأن اللغة كيان متكامل لا يمكن فصله عن المجتمع والثقافة والدين والتاريخ وغيرها من مقومات الأمم. لكن في الوقت ذاته، يكون المترجم محملا بالموروثات الثقافية والحضارية والتاريخية المتعلقة بلغته الأم منذ ولادته. حيث يقول 'العصيلي' في كتابه 'علم اللغة النفسي': "**يولد الطفل صفحة بيضاء خالية من المعلومات اللغوية وإن البيئة التي ينشأ فيها تسطر في هذه الصفحة ما تشاء. سواء أكانت البيئة طبعية كالوالدين والإخوان والأقران أم بيئة تعليمية تربوية كالمدرسة بما فيها من معلمين وبرامج ومناهج.**"[1]

وهنا يكمن الإشكال النفسي لدى المترجم! فكيف يمكن للمترجم أن ينقل الرسالة من لغة إلى لغة أخرى في ضل الصراع النفسي القائم بين مقومات اللغات الأجنبية المختلفة التي يكتسبها ومقومات اللغة الأم. (ونقصد بذلك تلك المقومات التاريخية والثقافية والاجتماعية والحضارية والنفسية والدينية وغيرها من المقومات المؤسسة للأمم)؟

[1]– د. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي. علم اللغة النفسي. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض 2006. ص 248

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

-هل يمكن أن يسبب ذاك الصراع النفسي القائم داخل المترجم بسبب تعدد اللغات (بما تحمل كلمة لغة من معنى) إضطرابا في الهوية؟ بعبارة أدمث: هل يمكن لتعدد اللغات أن ينجر عنه اضطراب تعدد الهويات (Multiple personality disorder) لدى المترجم؟

-هل يمكن أن نعتبر أن الترجمة عملية نفسية قبل أن تكون عملية ذهنية ولغوية؟

سنحاول الإجابة على كل هذه التساؤلات من خلال التعريج على علم اللغة النفسي وكذا علم اللغة العصبي ومن ثم طب الأمراض النفسية والعقلية على حد سواء من أجل تبيان صلتها بعلم الترجمة والبحث في طريقة تعامل مخ الإنسان والنفس البشرية مع عملية الترجمة.

2– مدخل إلى علم اللغة النفسي وعلاقته بالترجمة:

يتصل علم النفس بمجالات عدة وحقول علمية مختلفة، كعلم اللغة بما فيها الترجمة وعلم الاجتماع والاقتصاد والسياسة وغيرها من الميادين التي ترتبط ارتباطا مباشرا بالفرد، والذي يعتبر أكبر توليفة معقدة من بين كل الكائنات الحية.

وقد اهتم الفلاسفة منذ القدم بدراسة علم النفس وإقحامه في كل الميادين كما سبق وأن أشرنا نظرا لكونه مكونا سحريا يستطيع التماشي وأية وصفة. لكن اهتمام اللسانين به لم يظهر حتى القرن التاسع عشر ميلادي فبرزت بعض الأسماء مثل: (Hermann Pual) و(Heyman Steinthal) و(Mortiz Lazarus) في هذا المجال واصطلحوا له اسم "علم النفس اللغوي" (psychology of language)، وبقي هذا المصطلح متداولا إلى غاية النصف الثاني من القرن العشرين حين ظهر مصطلح آخر ألا وهو "علم اللغة النفسي" (psycholinguistics). ومن هنا بدأ اختلاف الباحثين

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

واللسانيين حول التسمية الصحيحة للمصطلح وتفرقت آراؤهم حول مدى تطابق مفهوم المصطلحين من عدمه.

2.1 ضبط المصطلح: علم النفس اللغوي أم علم اللغة النفسي؟

بعيدا عن تلك الخلافات القائمة بين اللسانيين والفلاسفة حول نشأة المصطلح وتاريخه ومن هو أحق بتسميته، يمكن أن نفرق بين المصطلحين من حيث الناحية الوظيفية ومجالات الدراسة لكل منهما. فأما علم النفس اللغوي فهو يعد من الناحية الوظيفية فرعا من فروع علم النفس (psychology) وأما علم اللغة النفسي فهو فرع من فروع علم اللغة (linguistics) ولكل واحد منهما وظائفه ومجالاته. "**فعلم النفس اللغوي أو سيكولوجيا اللغة كما يسميها علماء النفس يهتم بنفس اللغة، فيدرسها بوصفها مكونا من المكونات النفسية وظاهرة من الظواهر النفسية البشرية. وبذلك فهو يستعملها كأداة لشرح المفاهيم النفسية كالذكاء والذاكرة والانتباه والخوف وعيوب النطق والتعلم وتحديد وظائفها في السلوك، كما يهتم بالحديث المفصل عن المذاهب النفسية المختلفة في تعليم الأطفال. وأما علم اللغة النفسي فهو يهتم بالتفسير اللغوي للعمليات العقلية ذات العلاقة بفهم اللغة واستعمالها واكتسابها، كما يهتم بالبحث في أثر القيود النفسية على فهم اللغة واستعمالها.**"[1]

نستخلص من هذا التعريف أن علم النفس اللغوي يهتم بدراسة النفس البشرية وهي تتداول اللغة، ويعنى فيه الباحث بدراسة سلوك مستعمل اللغة بمفهومها الواسع: سواء أكانت لغة منطوقة أو مكتوبة أو لغة الجسد أو لغة الإشارة أو الأصوات وغيرها

[1]– voir. Crystal, D. A dictionary of linguistics and phonetics. (6th ed.). Blackwell. Oxford 2008. P 285

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

من اللغات المستعملة للتواصل. أما علم اللغة النفسي فهو يدرس كيفية صناعة اللغة في العقل البشري ومدى تداخل المكونات النفسية لإنجاح عملية التواصل.

وهكذا يمكننا ضبط المصطلح الذي نريد استعماله في هذه الدراسة التي نبحث من خلالها عن كيفية صناعة الترجمة في دماغ المترجم، وكيفية تأقلم هذا الأخير مع كل تلك التغيرات النفسية التي يكتسبها عند الانتقال من لغة إلى لغة أخرى. وبالتالي نحن بصدد دراسة **علم اللغة النفسي** لا علم النفس اللغوي.

2.2 مفهوم علم اللغة النفسي:

لقد ظهرت بوادر علم اللغة النفسي بظهور نظريات 'نوم تشومسكي' حول طبيعة اللغة ووظائفها وتساؤلاته عن كيفية تدريسها وكذا اكتسابها من قبل المتلقي. حيث أحدثت هذه التساؤلات انقلابا في العالم اللساني عندما شككت في النظرة الشكلية السطحية التي يتناول بها الدرس اللساني اللغة عند البنيويين، وكذا في عالم السلوكيين حين رفضت فكرة الاكتساب الفطري للغة. وهكذا أراد 'تشومسكي' أن يثبت أن اللغة عالم غامض بل ونظام داخلي كامن في نفس كل إنسان ما يجعل الأفراد تتميز عن بعضها البعض فيقول: "**إن اللغة ليست أشكالا سطحية فحسب وإنما هي – بالإضافة إلى ذلك– أبنية عميقة ونظام عالمي كامن في عقل كل إنسان مهما كانت لغته الخاصة وبيئته وثقافته.**"[1]

2.2.1 تعريف 'دافيد كريستال' لعلم اللغة النفسي: لقد عرف (David Crystal) في معجمه اللغوي النظري مصطلح علم اللغة النفسي على أنه "**فرع من**

[1]–Chomsky, N. Syntactic Structures. The Hague. Mouton 1957. P34

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

فروع علم اللغة يدرس العلاقة بين السلوك اللغوي والعمليات النفسية التي يعتقد أنها تفسر ذلك السلوك."[1]

نلاحظ من خلال هذا التعريف أن العمليات النفسية المعقدة التي تحدث في مخ الإنسان أثناء عملية استعمال اللغة وبخاصة عملية الانتقال من لغة إلى لغة أخرى (غير اللغة الأم) ستؤثر حتما على السلوك اللغوي للمتكلم وبخاصة المترجم. حيث يجدر بهذا الأخير أن يتأقلم وطريقة نطق مخارج الحروف وكذا تغيير نبرة الصوت عند التكلم باللغة الانجليزية أو استعمال إيماءات الجسد عند التكلم باللغة اليابانية أو الصينية، وكل هذه التغيرات تعتبر سلوكا لغويا جديدا يطرأ على المترجم بمجرد استعماله للغة.

2.2.2 تعريف 'ألان غرانهام' لعلم اللغة النفسي:

وصف (Allen Granham) علم اللغة النفسي في كتابه (Psycholinguistics: Central Topics) على أنه "**ميدان علمي تجريبي يدرس الآليات العقلية التي يستطيع الإنسان بواسطتها استعمال اللغة بهدف الوصول إلى نظرية مفهومة، تفسر إنتاج اللغة واستعمالها."[2]**

لقد بحث الأطباء المختصين في علم الأعصاب حقا عن تفسير لعملية إنتاج اللغة واستعمالها عن طريق تشريح الدماغ البشري بعد وفاة بعض المرضى المصابين بالحبسة الكلامية أو الحبسة الحركية، من أجل توضيح تلك الآليات العقلية التي تسمح للإنسان بالكلام وتعلم اللغات ومن ثم إنتاج عملية الترجمة. وستعرض بعض تلك الأعمال في الباب الخاص بعلم اللغة العصبي من هذه الدراسة.

[1]– Crystal, D. Op. cit. p 284

[2]–Garnham, A. Psycholinguistics: Central Topics. Routledge. New-York 1992. P1

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

2.2.3 تعريف 'جين كارون' لعلم اللغة النفسي:

عرفت (Jean Caron) مصطلح علم اللغة النفسي في كتابها (Introduction to psycholinguistics) على أنه: "**الدراسة العلمية التجريبية للعمليات النفسية التي تحدث في داخل العقل البشري، التي يكتسب بها الإنسان اللغة الإنسانية الطبيعية ويستعملها.**"[1]

يظهر من خلال هذا التعريف تلك النزعة النفسوية في تعريف علم اللغة النفسي وذلك راجع لكون الكاتبة (جون كارون) أستاذة مختصة في علم النفس بجامعة كندا، وعليه فهي ترجع تلك الآليات المعقدة التي تحصل في عقل الإنسان أثناء استعماله للغة أو أثناء تعلمه لها إلى عوامل نفسية لا عصبية وعقلية كما سبق وأن ذكر 'غرايهام'. وهذا ما جعلنا نطرح تلك الإشكالية في مقدمة البحث، عما إذا كنت الترجمة عملية نفسية قبل أن تكون عملية ذهنية وعصبية؟ وهذا ما سنحاول الإجابة عنه في نهاية هذه الدراسة.

2.3 علاقة الترجمة بعلم اللغة النفسي:

تعد الترجمة علم من علوم اللغة يسعى لنقل رسالة ما من لغة أولى تسمى اللغة المصدر إلى لغة ثانية تدعى اللغة الهدف. إذا، يستطيع المرء أن يلاحظ بكل وضوح أن أداة الترجمة وكذا جوهرها هو اللغة، فهي قائمة على ذاك التبادل والإغناء الحاصل بين اللغات المختلفة من أجل تحقيق العملية التواصلية. وأما عن علم اللغة النفسي فقد استخلصنا من التعاريف السابقة أنه علم يدرس اللغة من جانبها النفسي، فيبحث في السلوكات اللغوية المختلفة أثناء عملية صناعة اللغة في الدماغ وكذا طرائق اكتسابها

[1]–Caron, J.. An introduction to Psycholinguistics. Translated into English by Tim Pownall. University of Toronto Press. Toronto1992 P1

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

وكيفية استعمالها. وعليه، يمكننا القول بأن كلا من علم الترجمة وعلم اللغة النفسي يقومان على عمود واحد ألا و هو اللغة.

لكن تجدر الإشارة هنا إلى أن علم اللغة النفسي قد فرق بين أنواع عدة من اللغات وأعطاها مصطلحات مقننة، فتعلّم اللغة الأم واستعمالها يختلف تماما عن تعلم اللغة الثانية (the second language) وكذا تعلم اللغة الأجنبية (the foreign language)[1].

فأما مصطلح "اللغة الثانية" فهو يطلق على تعلم اللغات غير اللغة الأم في البلد الناطق بتلك اللغة، يعني تعلم اللغة من السكان الناطقين بها رسميا (native speakers). كتعلم الجزائري مثلا اللغة الانجليزية في بريطانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا يكتسب المتعلم هذه اللغة في بيئتها الأصل فينبع من ثقافتها وحضارتها ومجتمعها فيأخذ اللغة برمتها أي بكل مقوماتها النفسية والثقافية والحضارية والدينية والاجتماعية وغيرها من مقومات اللغة. وعليه يستعمل مصطلح 'اكتساب' مع مصطلح اللغة الثانية، حيث يكون تعلم هذه اللغة تعلما عميقا قد يضاهي اكتساب اللغة الأم باعتبارها اللغة الأولى.

وأما عن مصطلح 'اللغة الأجنبية'، فهو يطلق عن تلقين لغة ما، غير اللغة الأم، في بيئة غير بيئتها الأصل. كأن يلقن المتعلم الجزائري اللغة الإنجليزية في الجزائر أو فرنسا أو اليابان. وهنا سوف يكون التعلم أقل فعالية وأقل عمق من اكتساب اللغة الثانية، لأن المتعلم سوف يدرس اللغة خارج سياقها، وبالتالي لن يستطيع فهم اللغة الأجنبية بكل ظواهرها ومقوماتها كما يفعل في لغته الأم التي يكتسبها منذ نعومة أظافره.

[1]– ينظر. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي. علاقة اللغة الأم باكتساب اللغة الثانية. دراسة نظرية تطبيقية. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. عدد28. شوال 1420. ص 234

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

إذن، إذا ما اعتبرنا متلقي اللغة الأجنبية أو اللغة الثانية مترجما، فلن يهم الأمر في الفصل بين المصطلحين للقيام بعملية الترجمة. حيث أن المترجم مجبر على اكتساب اللغة بكل مقوماتها سواء أتعلمها في بيئتها الأصل أم في غيرها، وإن لم يفعل فإن العملية الترجمية ستبوء حتما بالفشل. حيث أن الأمر لا يتعلق فقط باكتساب اللغة أو فهمها أو استعمالها، وإنما يتعدى إلى التصرف في تلك اللغة وتطويعها وتأويلها من أجل نقلها إلى لغة أخرى، وكل ذلك يستوجب إلماما بالثقافات والحضارات وطرائق عيش وتفكير الأمم التي سيُترجَمُ منها وإليها.

لكن المعضلة تكمن في الحمولة اللغوية والثقافية والتاريخية والدينية والنفسية والحضارية التي يرثها المترجم من لغته الأم وبيئته الأصل. إذ يرى المختصون في علم اللغة النفسي أن اكتساب اللغة الثانية حتى وإن كان في البيئة الأصل لأهل تلك اللغة لن يجعل المترجم متمكنا كفاية في تلك اللغة، نظرا لذلك الصراع الداخلي الذي يقوم عندما تختلف أو تتناقض مقومات اللغات المترجم منها وإليها ما يجعل لغة ما تحاول السيطرة على اللغة الأخرى (بالضرورة ستكون الغلبة في غالب الأحيان للغة الأم) كي تفرض مفاهيمها حول الأشياء ونظرتها الرمزية أو الاجتماعية أو التاريخية للأمور.

فمثلا إذا حاول المترجم العربي المسلم نقل نص عن القضية الفلسطينية ضد إسرائيل، سيترجم (l'état Israélien) بالكيان الإسرائيلي لا دولة إسرائيل، نظرا لتلك الحمولة التاريخية التي اكتسبها من لغته الأم. كما ترجمة كلمة (examen) قد تثير إشكالا عند الترجمة إلى اللغة العربية، حيث أن المقابل (اختبار) لا يعني (امتحان) من حيث الشحنة الدلالية الدينية. فنجد أن الامتحان عند العرب المسلمين هو الابتلاء واختبار الله لصبر المسلم على المحن، كما جاء في القرآن الكريم سورة 'الممتحنة'. حيث عرف الفعل 'امتحن' في معجم اللغة العربي المعاصرة على أنه: " **فحص واختبار. والمحنة**

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

هي مفرد جمعه محنات ومحن: بلاء وشدة. والمحنة، ما يمتحن به الإنسان من بلية، تجربة شديدة وخاصة تلك التي تمتحن الشخصية أو القدرة على التحمل."[1]

وبالتالي نجد المترجم العربي يميل لاستعمال هذه الكلمة بدل الكلمات المرادفة لها بصفة آلية عفوية تتحكم فيها الحمولات الثقافية الدينية له بدل العملية الذهنية التي تستوجب البحث في المعاجم والقواميس عن الدلالة الصحيحة لكل مفردة والاستعمال المنطقي لها بما يناسبها من مقابلات في اللغة الهدف. فيقول 'العصيلي' في هذا الشأن: **"يواجه مستعمل اللغة الثانية مشكلات نفسية عاطفية في أثناء تعلمها، ناتجة عن اختلافات بين ثقافته وثقافة اللغة الهدف في الجوانب الدينية والثقافية والاجتماعية، وقد تؤثر هذه المشكلات وتتسع هذه الاختلافات كلما تقدم به العمر."[2]**

لقد تطرق الجاحظ أيضا إلى فكرة تقدم العمر وعلاقتها باكتساب اللغة، حيث يرى أن نظرية اكتساب اللغة الثانية لن تنفع متعلم اللغة بالشكل الذي روجت إليه نظريات علم اللغة النفسي إلا إذا كان المتعلم طفلا، فإن كبر صار من الصعب عليه أن يتقن اللغة الثانية كإتقانه لغته الأم. حيث يقول الجاحظ: **"فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا ما تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم. ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيرا فإنه لا يستطيع أن يجعل الجيم زايا ولو أقام في عليا تميم وسفلى قيس وبين عجز هوان خمسي عاما."[3]**

---

[1]– أ.د. أحمد مختار وآخرون. معجم اللغة العربية المعاصرة. المجلد الأول. ط1. عالم الكتاب. القاهرة 2008. باب 'محن'. ص 2073

[2]– د. عبد العزيز بن ابراهيم العصيلي. أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى. جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض 1423هـ. ص ص 245–248

[3]– لجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط7. مكتبة الخانجي. القاهرة. 1998 .ج1. ص 62

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

نستخلص من هذا القول أن متعلم اللغة إذا بلغ من العمر عتيا لا يمكنه أن يتعلم اللغة الثانية أو الأجنبية بالبراعة نفسها بالنسبة للغة الأم. حيث أن "**الطفل يولد وهو لا يتكلم لغة معينة، ولا يملك سوى القدرة اللغوية العامة الكامنة في ذهنه والميل الفطري إلى اكتسابها. أما متعلم اللغة الثانية فلديه لغة أم تعد خبرة لغوية وتجربة ثرية قد تؤثر في اكتسابه للغة الثانية سلبا أو إيجابا.**"[1]

وعليه فـــإن المترجم عند تعلمه اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية، لن يحظ بمراحل التعلم نفسها التي يحظ بها متعلم اللغة الأم لأول مرة. فمسودة دماغه تمتلئ مع مرور الزمن وتحفر فيها كل تلك المخلفات والموروثات من بيئته ولغته الأصل، وإن حاول تعلم المزيد عن لغات الغير، لن يستطيع محو كل ما بناه الزمن والتجارب والخبرات وصقله المجتمع والدين والثقافة كي يعوضها بمقابلاتها الجديدة الأجنبية. لأن كل تلك المعلومات اللغوية ترتبط بذاكرة فضائية زمنكانية وذاكرة نفسية وذاكرة حسية، حتى وإن تقادم تخزينها في الجزء اللاواعي من الدماغ لكنه لا يمكنه أن يتخلص منها نهائيا. وخير دليل على ذلك أن "**الأجنبي لا يعتمد على اللغة الهدف حتى ولو عاش في بلدها وتلقاها لغة ثانية بين الناطقين بها. فكثير من الأجانب يعتمدون في معاملاتهم على لغتهم الأم أو لغة أخرى وسيطة غير اللغة الهدف أو لغة البلد الذي يعيشون فيه.**"[2]

إذا، نستخلص من القولين السابقين الذين يتفقان تماما حول استحالة الإلمام باللغة الهدف كما هو الحال بالنسبة للغة الأم، أن لغة المترجم هي لغة مصطنعة غير طبيعية ولا أصيلة. حيث تبقى اللغة الأم بكل مقوماتها ومخلفاتها وموروثاتها هي من تتحكم بنفس

[1]– د. عبد العزيز بن ابراهيم العصيلي. علاقة اللغة الأم باكتساب اللغة الثانية. دراسة نظرية تطبيقية. معهد تعليم اللغة العربية. جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض 1420هـــ . ص234

[2]– د. عبد العزيز بن ابراهيم العصيلي. التحجر في لغة متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. ج1/ مجلد 33/ ربيع الآخر 1426هـــ. ص 353

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

ومشاعر وذاكرة المترجم وجزءه الواعي واللاواعي مهما حاول التنصل منها وإتّباع سنة أهل اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية. فيقول (Ellis) في كتابه 'The Study of Second Language Acquisition': "**تبدو لغة الطفل فطرية وطبعية في نطق الأصوات واستعمال الكلمات والتراكيب ضمن سياقات ودلالات طبعية سليمة، في حين تبدو لغة متعلم اللغة مصنوعة ومتكلفة.**"[1]

لكن هل يكون هذا الصراع النفسي فقط أثناء عملية الترجمة، أم أنه لا يبرح مكانه حتى بعد انتهاء العملية الترجمية؟ فهل من المعقول أن تلبس اللغة صاحبها كما يلبسها هو؟ وهل يمكن فصل المخ عن عالم اللغة الهدف بمجرد التوقف عن الكلام بها، كما لو كان الأمر أشبه بفصل فيش التيار الكهربائي عن آلة كهربائية تتغذى منه فتتوقف بتوقف امدادها بالكهرباء؟ للإجابة عن كل تلك الأسئلة، لابد من التعريج على علم الأعصاب بغية فهم العملية العصبية للترجمة ومخلفاتها على أقسام دماغ المترجم.

3– مدخل إلى علم اللغة العصبي وعلاقته بالترجمة:

يعمل علم اللغة العصبي (Neurolinguistics) على تفسير عملية اكتساب اللغة بوجود وظائف معقدة للجهاز العصبي لدماغ الإنسان والتي تتوزع على شقيه الأيمن والأيسر. حيث يعتبر الدماغ أو المخ–كما يطلق عليه أحيانا– أهم جزء في الجهاز العصبي المركزي، بل هو مركز الجهاز العصبي المركزي نفسه. والدماغ عبارة عن كتلة من النسيج العصبي تملأ تجويف الجمجمة وتبلغ مائة بليون خلية عصبية.[2]

[1] –Ellis, R. The study of second Language Acquisition. Oxford University. Oxford 1994. P492

[2] –Voir. Olut, G. and Oguz, V. The secret Power of the Brain in Second Language Learning. Paper presented at 22th annual TESOL.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

أما نصفا الدماغ وهما الشق الأيمن (right hemisphere) والشق الأيسر (left hemisphere)، فهما مربوطان بواسطة مجموعة من الأعصاب التي تسمى الأعصاب الموصلة (commissures) وأكبر هاته الأعصاب هو الجسم الصلب (corpus callosum) الذي يوصل بين نصفي الدماغ ويقوم بتنسيق العمليات العقلية في نصفي الدماغ معا.[1]

وقد أشارت الدراسات والأبحاث في هذا المجال إلى أن الجانب الأيسر من المخ هو المسؤول عن اكتساب اللغة الأم بكل وظائفها ومهاراتها، كما أنه مسؤول عن جزء من اكتساب اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية وتحليلها. أي كلما ازدادت اللغة الأجنبية تعقيدا في ذهن المترجم، تطلب ذلك الأمر الاستعانة بالشق الأيسر من الدماغ. أما الشق الأيمن من الدماغ فيتحكم بالعبارات الجاهزة (Formulaic speech) والتي تستعمل ككتلة واحدة دون تحليل.[2]

3.1– المراكز اللغوية في الدماغ البشري:

رغم اهتمام الأخصائيين في مجالات عدة من العلوم بظاهرة اللغة عند الإنسان، إلا أنهم لم يستطيعوا تحديد مراكز اللغة تحديدا علميا إلا في القرن التاسع عشر. حيث قام الطبيب الفرنسي (Paul Broca) في عام 1861 بتشريح دماغ مريض ميت كان يشرف على علاجه من مرض الحبسة الكلامية والشلل الحركي في نصفه الأيمن. وحينها اكتشف منطقة تقع في الفص الأمامي (Frontal lobe) من الشق الأيسر للدماغ سميت على اسمه

[1]–Dingwall, W. The Biological Bases of Human Communicative Behavior. In Gleason, J and Ratner, N. Psycholinguistics. Harcourt Brace College Publishers. New York. 1993. PP 51-52

[2]– ينظر. د. عبد العزيز بن ابراهيم العصيلي. علم اللغة العصبي. مرجع سابق. ص ص 291–292

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

'منطقة بروكا' (Broca's area) وهي مسؤولة عن تخزين الكلام وبرمجته وانتاجه، كما أنها مسؤولة عن الوظائف اللغوية التحليلية كاستعمال المورفيمات الصرفية وعلامات الجمع وتصريف الأفعال وانتقاء الكلمات الوظيفية وبناء الجمل.[1]

بعدها اكتشف العالم الألماني (Carl Wernicke) منطقة أخرى سميت على اسمه (Wernicke's area)، تقع في الفص الصدغي من الدماغ (Temporal lobe) واكتشف أنها مسؤولة عن تخزين الكلام المسموع وترجمته وفهمه.[2]

إن الدراسات الحديثة تشكك في صحة النظرية التي تقول بأن الدماغ يعمل بشقين منفصلين (الشق الأيمن والشق الأيسر) إلا أنها لم تنف وجود هاذين الشقين ولا وظائفهما، بل ذهبت هذه الدراسات إلى أن الشقين يعملان في تناغم تام ويساند أحدهما الآخر رغم اختلاف الوظائف والمهام لكليهما.[3]

3.2 المراكز العصبية للترجمة:

لقد سبق وأن ذكرنا أن الترجمة عملية لغوية وبالتالي فهي عملية عصبية بالإضافة لكونها عملية نفسية، وإن أصحاب النظرية التأويلية والنظرية الهرمينوطيقية وكذا 'يوجن نايدا' قد ذكروا في أعمالهم مراحل مهمة في عملية الترجمة تتلخص في ثلاث عمليات على اختلاف تسمياتها ألا وهي: مرحلة الفهم، ثم مرحلة التحليل ثم مرحلة إعادة الصياغة أو إعادة البنينة. حيث يقول 'تيومارك': " الترجمة فنّ يتجلى في معرفة متى وكيف ينبغي للمترجم أن يتدخل ويفسّر بطريقة يعيد فيها تشكيل جوهر النص الأصلي. أو بمعنى آخر

[1]–Steinberg, D. An Introduction to psycholinguistics. Longman. England 1993. PP 182-187

[2] –Steinberg, D. Ibid. P 182

[3] –Voir. Steinberg, D. Ibid. pp 174-175

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

عليه أن يكتسب تقنيات التحويل بين عمليتي الترجمة الأساسيتين: الفهم (Comprehension) التي ينجر عنها التفسير والتأويل (Interpretation) وعملية الصياغة (Formulation) التي تسفر عن إعادة الخلق والإبداع (Re-creation)."[1]

فأما مرحلة الفهم والتي تتطلب أولا الاستماع إلى المنطوق ومن ثم تفكيك المفردات وفهما، فهي تنجز في منطقة 'فرنكي' (Wernike's area) التي تقع في الفص الصدغي من الجزء الأيسر للدماغ كما سبق وأن ذكرنا. حيث أن هذه المنطقة "**هي المسؤولة عن استقبال المداخلات السمعية وفهم معاني المفردات.**"[2]

وإن عملية الفهم هذه تترجم في المخ بعملية عصبية تبدأ "**بترتيب الكلمات في الجملة والمفردات المعجمية والصرف والتنغيم...حيث تختلف درجاتها في اللغات كما تختلف داخل اللغة الواحدة**".[3] فترتيب الكلمات هو ما يحدد وظائفها في الجملة الانجليزية، كما أن الإعراب هو من يحدد وظيفة الكلمة في الجملة في اللغة العربية.

وأما عن عملية التحليل وهي أعقد عملية عصبية من مراحل الترجمة، فتتمركز في منطقة 'بروكا' (Broca's area) في الشق الأيسر من الدماغ، نظرا لكونها مسؤولة عن عملية التحليل والتفسير والمعالجة اللغوية والمعالجة الحسابية والتعليل التحليلي[4]. وهكذا يستطيع المترجم أن يحلل الرسالة التي جاءت في النص مستندا بذلك إلى كل

[1] –Voir. Newmark. Approaches to translation. Pergman Press. London 1982. P17

[2]– عبد العزيز السرطاوي ووائل أبو جودة. اضطرابات اللغة والكلام. أكاديمية التربية الخاصة. الرياض 1420هـ. ص91

[3]–Lamendella, J. The Neurofunctional Basis of Pattern practice. TESOL Quarterly1979.13 :5

[4]– Voir. Steinberg. Op.cit. PP174-175

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

مهاراته الذهنية المتعلقة بربط المفردات بسياق ما، تفرضه عليه خلفياته الثقافية والحضارية والدينية والنفسية وغيرها من مقومات اللغة الأم التي تحفر في ذهن ونفس الإنسان منذ ولادته كما سبق وأن أشرنا في شق باب علم اللغة النفسي.

وأما عملية إعادة الصياغة أو إعادة البنية والتي تعنى بإخراج النص المترجم في اللغة الهدف بأقل خسائر ممكنة من حيث ضياع المعنى وجمال الأسلوب، فهي تتمركز في الشق الأيسر من المخ وتتعاون فيها منطقة 'بروكا' ومنطقة 'فرينكي' على حد سواء. حيث يقوم هذا الجزء من المخ "**بالوظائف التحليلية للغة وبخاصة تلك التي تتطلب استعمال اللغة استعمالا إبداعيا خلاقا** (**creative language use**) **وربما تستقر فيه اللغة الثانية إذا بلغت درجة عالية من الكفاءة.**" [1]

وأما إذا تعلقت إعادة الصياغة بعبارات جاهزة (**Formulaic speech**) فسوف تقع في النصف الأيمن من الدماغ، حيث يعتبر هذا الشق هو المسؤول عن "**التفكير غير المنطقي وغير التحليلي، وعن فهم اللغة وإعادة استعمالها ككتلة كاملة دون تحليل... وهذا ما يفسر لجوء متعلم اللغة الثانية إليها في المراحل الأولى من تعلمه، ولاسيما في البرامج التقليدية لتعليم اللغة التي تهتم بالتدريبات الآلية بعامة وتدريبات الأنماط بخاصة.**"[2]

وعليه نستنتج أن الترجمة الإبداعية كالترجمة الأدبية للنصوص الشعرية والمسرحية والروائية وغيرها من النصوص التي تكتب بلغة خلاقة، فهي تحدث في الشق الأيسر من مخ المترجم، وأما الترجمات التقنية مثل الترجمة القانونية والطبية والاقتصادية وغيرها من

[1]– ينظر د. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي. علم اللغة النفسي. مرجع سابق. ص 292

[2]– ينظر. د. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي. علم اللغة النفسي. مرجع سابق. ص 291

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

النصوص المقولبة في أنموذج ما- وبالتالي فهي تستدعي حفظ عبارات جاهزة (**Formulaic speech**) لترجمتها-، فهي تقع في النصف الأيمن من مخ الإنسان.

وقد تطرق أيضا (**Anderson**) في كتابه (**Models, Processes, Principles and Strategies: Second Language Acquisition Inside and Outside of the Classroom**) إلى مرحلتين مهمتين أثناء عملية استعمال لغتين أحدهما اللغة الأم والأخرى لغة أجنبية وهما: "**مرحلة التأهيل** (**Nativisation**) **ومرحلة فك التأهيل** (**denitivisation**). **فأما الأولى فينطلق فيها المتعلم من خلفيته ومعلوماته العامة ويلجأ إليهما في تفسير السياق اللغوي وفهمه واستعماله. وينتج عن هذه العملية تبسيط السياق فهما واستعمالا... أما الثانية فينطلق فيها المتعلم من السياق اللغوي ويكفيه نظامه اللغوي المرحلي لهذا السياق فيجتهد في الفهم والاستنتاج بحثا عن القواعد والقوانين التي تحكم السياق أو التركيب.**"[1]

وعليه نستخلص أن المرحلة الأولى (**nativization**) يعتمد عليها المترجم عندما يترجم من لغته الأم إلى اللغة الهدف، حيث يكون النص الأصل في البيئة الأم للمترجم ومنه سيستعمل كل خلفياته الثقافية والدينية والاجتماعية وكذا كل الخبرات الشخصية التي اكتسبها منذ طفولته في بيئته كي يفهم سياق وتراكيب النص في اللغة الأم. وهكذا عندما تجتمع براعة المترجم في الفهم مع إبداعيته في التحليل (والتي تعتبر عملية عصبية ونفسية بامتياز) يتمكن المترجم من نقل النص إلى اللغة الهدف بكل سلاسة واتقان.

[1] –Anderson, R. models, Processes, principles and strategies: second language acquisition inside and outside of the classroom. In B. Vann Patten and J. Lee (eds). Second Language Acquisition-Foreign Language Learning. Clevedom, Avon. Multilangual Matters. 1990. P48

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

وأما عن المرحلة الثانية ألا وهي مرحلة فك التأهيل (**denitivization**) فهي تمثل الترجمة من اللغة الهدف إلى اللغة الأم. حيث يستعمل المترجم –كما أشار 'أندرسون' في قوله السابق– السياق اللغوي كي يفهم ما جاء غامضا وغريبا عن ثقافته ومكتسباته الأصل، فيبذل جهدا مضاعفا في الشق الأيسر من المخ (وبالأخص منطقة 'بروكا' ومنطقة 'فرينكي') كي يفهم ويستنتج ومن ثم يبحث عن المقابلات في اللغة الأم المترجم إليها.

4–المترجم واضطراب تعدد الشخصيات:

إن مصطلح اضطراب تعدد الشخصيات (Trouble de la personnalité multiple) أو باللغة الإنجليزية (Multiple Personality Disorder) يعتبر مصطلحا متقادما في دراسات علوم الأمراض العصبية والعقلية، حيث عوض في الدراسات الحديثة بمصطلح 'اضطراب الهوية التفارقي' (Trouble dissociatif de l'identité) أو باللغة الإنجليزية (Dissociative Identity Disorder). وقد غير اسم المصطلح لأن المختصين قد لاحظوا أن هذا الاضطراب سببه الرئيسي عدم التأقلم أو الاندماج وليس مشكل تعدد الشخصيات.

« TDI (trouble dissociatif de l'identité) originellement, le TDI se nommait trouble de la personnalité multiple (TPM), mais cette terminologie fut modifiée afin de mieux refléter le fait que cette pathologie est davantage caractérisée par un default d'intégration que par un problème de multiplicité. »[1]

[1]–voir. Spiegel, D and Li. D. dissociated Cognition and disintegrated Experience. In D. J Stein, Cognitive Science and the unconscious. American Psychiatry Association. Washington, DC.1997. pp 177-187

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

حيث يوضح لنا القول السابق بأن اضطراب الهوية التفارقي، يظهر عند الشخص الذي يفقد القدرة على الاندماج مع البيئة التي يعيش فيها ويقوم فيها بالمعاملات الإنسانية والعمليات التواصلية مع بني جنسه. وقد ترجع عدم القدرة على التأقلم نظرا لفروقات ثقافية واجتماعية وحضارية عندما يغير الإنسان بيئته الأم، فيكون بذلك الاضطراب مؤقتا كما هو الحال بالنسبة للمسافر خارج بيئته وكذا المترجم عندما يريد لبس جلد كاتب النص الأصل عند الترجمة من لغة أجنبية. أو قد يرجع عدم الاندماج ذاك أيضا، لعدم قدرة الدماغ على التأقلم مع الواقع المعاش أو متناقضات الحياة نظرا لحساسيته المفرطة أو نفسيته المتكسرة، وفي هذه الحالة قد يكون الاضطراب مزمنا ويتطلب علاجا عصبيا مكثفا.

وعليه لم يعد الحديث متعلقا بتعدد الشخصيات، وإنما بشخصية واحدة عامة لكنها ليست اندماجية. بل تمتلك هويات عدة تحاول أن تتأقلم بها في كل مرة مع وضعيات مختلفة أو سياقات متناقضة يوضع فيها الإنسان، وكأن الأمر يتعلق بجلد الحرباء التي تغير لونها بتغير لون الوسط الذي تلمسه. لكن ما يجعل هذه الظاهرة اضطرابا وليس طبيعة كما هو الحال بالنسبة للحرباء، هو كون كل تلك الهويات منفصلة انفصالا تاما ومستقلة بذاتها. وكأن الشخص يعيش أدوارا مختلفة لكن بشخصية واحدة. وهذا ما يوضحه القول التالي:

« Il s’agirait donc en fait d’une seule identité globale, mais qui serait non intégrée. Chaque identité représenterait des aspects de

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

cette identité globale, qui se vivraient de manière indépendante et qui seraient donc expérimentés comme des identités séparées. »[1]

وقد ذهب بعض المختصين في علم الأمراض النفسية والعقلية إلى أبعد الحدود في وصف ظاهرة اضطراب الهوية التفارقي، فشبهوه بحالة المس. حيث يظهر الشخص الذي يعاني من اضطراب في الهوية على أنه مسكون من أرواح شريرة تجعله ينتحل الأدوار في كل مرة ويتقمص الهويات المختلفة، وهذا الفكر موجود في مختلف الثقافات. فحتى الثقافات الغربية التي قد وصلت شعوبها لدرجة كبيرة من التطور الفكري والوعي العلمي، لم تسلم هي الأخرى من هاته الاعتقادات ولا تزال تدخل رجال الكنسية في معالجة هؤلاء الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات في الهوية عن طريق ما يدعى عندهم بمصطلح (Exorcisme) وهو ما يعادل مفهوم الرقية في الثقافة العربية الاسلامية.

وهذا ما يجعلنا نلاحظ معاناة كبيرة لهؤلاء المرضى في خضم تلك التطبيقات الجزافية للدين على أمور علمية وطبية محضة، لا علاقة لها بالجن والشياطين وإنما بإشارات عصبية وكيمياء هرمونية تجعل مخ الإنسان في اضطراب إذا ما اختل توازنها. وهذا ما يتحدث عنه 'هاول' في الفقرة التالية:

«Howell mentionne que le terme 'hôte' –utilisé généralement dans la littérature- ne reflète pas réellement la réalité de cette identité, puisque, par exemple, il peut inférer que la personne est 'possédée', ou bien que cette identité est l'hôte des autres identités,

[1]–International society for study of dissociation, Guidelines for treating dissociative identity disorder in adults. Third revision. Journal of Trauma and Tissociation 12. 2011. PP 115-187

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

en référence à la fonction de réception des invités que le terme 'hôte' connote.»[1]

إن اضطراب الهوية التفارقي، يشكل أيضا تجربة مخذلة للوعي، حيث تظهر في شكل انفصال عن النفس ذاتها و/أو المحيط الذي تقبع فيه. وقد اخترنا الفعل 'قبع' لأنه فعلا ما يعبر عن هروب النفس من المحيط الذي من المفروض أن تلزمه النفوس السوية وتلجأ إليه كي تستتر. حيث يعرف معجم المعاني الجامع في اللغة العربية الفعل 'قبع' كالتالي: **"قبع الشخص في بيته: أي لزمه، انزوى فيه واستتر"**[2]

وعليه فإن هذا التفكك داخل النفس، يرجع إلى خلل في الوعي والإدراك بالعالم الحقيقي الذي تعيش فيه الشخصية كما يوضح القول التالي:

« La dissociation constitue aussi une expérience altérée de la conscience, caractérisée par un détachement de soi-même et/ou de l'environnement.»[3]

بعد الاطلاع الموجز على بعض التعريفات لظاهرة اضطراب الهوية التفارقي، يتبين لنا أن عملية الترجمة التي تستوجب من المترجم فهم النص الأجنبي بطريقة إبداعية تمكنه من فهم المعاني التي تختبئ داخل المفردات وبين السطور ثم تحليل المفاهيم والرموز والإيحاءات ومن ثم تأويلها والبحث عن مكافئاتها في اللغة الهدف، قد تؤثر سلبا على نفسية المترجم (la psyché) وتجعله يقع في فخ اضطراب الهوية التفارقي.

[1] –Voir. Howell, E.F. Understanding and Treating Dissociative Identity Disorder: A Relational approach, Routledge, Taylor and Francis Group. New York.2011

[2] – أ. د. أحمد مختار عمر وآخرون. المصدر السابق. باب قبع. ص1768

[3] –Cardena, E, A. The Domain of Dissociation. In S. J. Lynn and J. Rhine. Dissociation: Clinical and Theoretical Perspectives. Guilford Press. New York. 1994. PP 15-31

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

حيث أن مطالبة المترجم بالإلمام بمقومات كل اللغات التي يترجم منها وإليها من أجل إنجاح العملية الترجمية ببراعة رغم أنه وليد بيئة واحدة ويملك لغة أم واحدة، قد تجعل هويته متفككة وضائعة بين الهويات المستمدة من اللغات الأجنبية التي في غالب الأحيان تكون مناقضة في مفاهيمها تماما للمفاهيم التي نشأ وتربى عنها المترجم في بيئته الأصل، كأن يترجم المترجم العربي نصا عن فظاعة الإرهاب وجرائمه. فيجد نفسه متخبطا بين نقل الكلمات الشنيعة التي يصف بها الكاتب مثلا فضائع الإرهاب في حق الانسانية والأطفال وتدمير المجتمعات، ولكن أيضا نظرة الكاتب لهوية الإرهاب (ففي نظر الغرب كل إرهابي هو عربي أو من أصول عربية) التي هي نفسها هوية المترجم. فكيف يمكن لهذا المترجم أن يعمل في ضل ذاك الصراع القائم بداخله حول ضرورة إنصاف هويته الأم وفي الوقت ذاته الحفاظ على هوية النص. وهكذا نجبره على الانفصال عن نفسه وعن المحيط الذي ينتمي إليه فقط لكي يقوم بعمله الترجمي بكل إبداع وحِرفية. وهذا هو التعريف بعينه الذي عرف به (كاردينا) اضطراب الهوية التفارقي في قوله المذكور أعلاه من الكتاب (The Domain of Dissociation).

5– الخاتمـــة:

لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نسلط الضوء على العملية الترجمية من منظور نفسي وعصبي، كي نستطيع تفكيك ذاك العمل المعقد الذي يقوم به دماغ الإنسان في ظل صراع نفسي تتجاذب فيه مقومات اللغات تارة وتتنافر تارة أخرى.

وهكذا استطعنا تحديد المراكز العصبية للترجمة داخل المخ، وتبين لنا أن الشق الأيسر من المخ وبالضبط منطقة 'بروكا' ومنطقة فرنكي هما المسؤولتان عن جل العملية الترجمية. حيث تتمركز عملية فهم النص سواء أكان منطوقا أم مكتوبا في منطقة 'فرنكي' ثم تنتقل المعلومات إلى منطقة 'بروكا' أين تتم هناك عملية التحليل والتفسير وإعادة الصياغة للغة الإبداعية وهي لغة النصوص الأدبية والفلسفية، أما إعادة صياغة النصوص المقننة والمقولبة في نماذج معينة مثل النص القانوني والنص الاقتصادي وغيرها

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

من النصوص التي تستوجب قائمة مصطلحات معينة، فهي تتمركز في النصف الأيمن من الدماغ المسؤول عن التعابير الجاهزة (formulaic speech). ومنه نستنتج أن العملية الترجمية هي عملية عصبية قبل أن تكون عملية نفسية. لأن عملية الفهم (وهي عملية عصبية) هي من تثير العملية النفسية التي تدخل في عملية التحليل ومن ثم عملية إعادة الصياغة.

وأما عن إشكالية تعدد الهويات عند تعدد اللغات، فقد استخلصنا من بعض النظريات التي تطرقنا إليها في طب الأمراض النفسية والعقلية، أن تعدد الهويات عند الشخص ناتج على عدم تأقلم هذا الأخير وعدم اندماجه في خلية المجتمع. وإن هذا التفكك في النفس وهذا التعدد للهويات قد يحصل فعلا عند المترجم عند محاولته في كل مرة تقمص هوية اللغة الهدف واستيعاب كل مقوماتها حتى وإن كانت مناهضة لفكر وثقافة ودين وحضارة المترجم. إذا، قد يسبب هذا الاختلاف في مقومات اللغات المختلفة إلى انشطار فكري ونفسي لدى المترجم.

على إثر كل ما تقدم، يمكن القول بأن الترجمة هي عملية معقدة تتعدى صعوبة اكتساب اللغة. حيث أن الترجمة هي فهم أولي للغة ثم تفكيك لها ثم إعادة صناعة لغة ثانية، وكل ذلك يتطلب الكثير من مهارات المخ وتأقلم كبير للنفس. وعليه، لابد على الأشخاص الذين يتعاملون مع المترجم تقدير كل ذلك الجهد العصبي والنفسي الذي يقوم به المترجم من أجل نقل نصوصهم بين اللغات وألا يدفعوا به إلى اضطراب في الهوية، فقط من أجل وصولهم إلى هوية النص الأصل المترجم. فلابد من تقبل اختلاف المقومات الثقافية والحضارية والدينية والنفسية للأمم وعدم تطابق اللغات، مما يستدعي استحالة تطابق النص الأصل مع النص المترجم مهما بلغت كفاءة المترجم نظرا لحدود القدرة العصبية والنفسية للإنسان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

1/ أ.د. أحمد مختار وآخرون. معجم اللغة العربية المعاصرة. المجلد الأول. ط1. عالم الكتاب. القاهرة 2008.

2/ بول ريكور. عن الترجمة. ترجمة حسين حمزي. الدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت 2008

3/ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط7. ج1. مكتبة الخانجي. القاهرة.1998

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

4/ د. عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي. علم اللغة النفسي. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض 2006.

5/ عبد العزيز بن ابراهيم العصيلي. علاقة اللغة الأم باكتساب اللغة الثانية. دراسة نظرية تطبيقية. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. عدد 28. شوال 1420 هجري

6/ د. عبد العزيز بن ابراهيم العصيلي. أساسيات تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى. جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض 1423هـ

7/ د. عبد العزيز بن ابراهيم العصيلي. التحجر في لغة متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. ج1/ مجلد33/ ربيع الآخر 1426هـ.

8/ د عبد العزيز السرطاوي ووائل أبو جودة. اضطرابات اللغة والكلام. أكاديمية التربية الخاصة. الرياض 1420هـ.

قائمة المصادر والمراجع باللغات الأجنبية:

1/ Anderson, R. models, Processes, principles and strategies : second language acquisition inside and outside of the classroom. In B. Vann Patten and J. Lee (eds). Second Language Acquisition-Foreign Language Learning. Clevedom, Avon. Multilingual Matters. 1990.

2/ Cardena, E, A. The Domain of Dissociation. In S. J. Lynn and J. Rhine. Dissociation: Clinical and Theoretical Perspectives. Guilford Press. New York. 1994

3/ Caron, J. An introduction to Psycholinguistics. Translated into English by Tim Pownall. University of Toronto Press. Toronto1992

4/ Chomsky, N. Syntactic Structures. The Hague. Mouton 1957.

5/ Crystal, D. A dictionary of linguistics and phonetics. (6th ed.). Blackwell. Oxford 2008.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
SSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-027
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 864–891 تاريخ النشر: 10–05–2022

6/ Dingwall, W. The Biological Bases of Human Communicative Behavior. In Gleason, J and Ratner, N. Psycholinguistics. Harcourt Brace College Publishers. New York. 1993.

7/ Ellis, R. The study of second Language Acquisition. Oxford University. Oxford 1994.

8/ Garnham, A. Psycholinguistics: Central Topics. Routledge. New-York 1992.

9/ Howell, E.F. Understanding and Treating Dissociative Identity Disorder: A Relational approach, Routledge, Taylor and Francis Group. New York.2011

10/ International society for study of dissociation, Guidelines for treating dissociative identity disorder in adults. Third revision. Journal of Trauma and Tissociation 12. 2011

11/ Lamendella, J. The Neurofunctional Basis of Pattern practice. TESOL Quarterly1979.13 :5

12/ Newmark. Approaches to translation. Pergman Press. London 1982. P17

13/ Olut, G. and Oguz, V. The secret Power of the Brain in Second Language Learning. Paper presented at 22th annual TESOL.

14/ Spiegel, D and Li. D. dissociated Cognition and disintegrated Experience. In D. J Stein, Cognitive Science and the unconscious. American Psychiatry Association. Washington, DC.1997.

15/ Steinberg, D. An Introduction to psycholinguistics. Longman. England 1993.